BITARA
Volume 7, Issue 4, 2024: 235-253
© The Author(s) 2024
e-ISSN: 2600-9080
http://www.bitarajournal.com
Received: 1 October 2024
Accepted: 30 October 2024
Published: 30 November 2024

النظام المالي والإداري للزوايا السنوسية وأثره في نجاح الدعوة السنوسية وسرعة انتشارها في ليبيا

[The Financial and Administrative System of the Sanusi zawiyas and Its Impact on the Success and Rapid Spread of the Sanusi Movement]

Abdulmunem Ahmed Omar Alqurayd,[1] Adel M. Abdulaziz Al Geriani[2]* & Engku Ibrahim Engku Wok Zin[1]

1 Fakulti Pengajian Kontemporari Islam, Universiti Sultan Zainal Abidin. Kampus Gong Badak, 21300 Kuala Nerus, Terengganu, Malaysia.
E-mail: abdalmnamalrgbany@gmail.com; ibrahim@unisza.edu.my

2 Universiti Islam Sultan Sharif Ali, Simpang 347, Jalan Pasar Gadong, Bandar Seri Begawan, BRUNEI.
E-mail: adel.mabdulaziz@unissa.edu.bn

* Corresponding Author: adel.mabdulaziz@unissa.edu.bn

الملخص

تهدف الدراسة إلى تحليل النظام المالي والإداري للزوايا السنوسية وكيفية تأثيره على نجاح وانتشار الدعوة السنوسية في ليبيا، وتسليط الضوء على البنية التنظيمية والمالية للزوايا السنوسية، ودورها في تحقيق أهداف الحركة السنوسية وتوسيع نطاق تأثيرها في المجتمع الليبي. وتتّبع الدراسة المنهج التحليلي لوصف الأحداث والحقائق التاريخية المتعلقة بموضوع الدراسة. وتتمثل مشكلة الدراسة في تبيان الأحداث المهمة في تاريخ الحركة السنوسية في ليبيا، لفهم آلية النظام الإداري والمالي للحركة ومدى مساهمته في سرعة انتشارها في ليبيا. وقد خلصت الدراسة إلى أن النظام المالي والإداري للزوايا السنوسية كان عنصراً حاسماً في نجاح الدعوة السنوسية وسرعة انتشارها. وإن الاعتماد على مصادر تمويل متنوعة وإدارة مالية محكمة، بالإضافة إلى هيكل إداري فعّال، مكّن الزوايا السنوسية من تحقيق استدامة ونجاح في دعوتها.

الكلمات المفتاحية: الزوايا السنوسية، الدعوة السنوسية، النظام المالي، النظام الإداري، ليبيا.

Abstract

The current study aims to analyse the financial and administrative system of the Sanusi zawiyas and the way it influenced the success and spread of the Sanusi da'wa in Libya. The study highlights the organizational and financial structure of the Sanusi zawiyas and their role in achieving the goals of the Sanusi movement and expanding its influence in the Libyan society. it adopts an analytical investigative approach to describe the events and historical facts related to the subject. The study problem focuses on elucidating the significant events in the history of the Sanusi movement in Libya to understand the administrative and financial mechanisms of the movement and their contribution to its rapid spread in Libya. it concludes that the financial and administrative system of the Sanusi zawiyas was a crucial element in the success and rapid spread of the Sanusi da'wa. The reliance on

diverse funding sources, efficient financial management, and an effective administrative structure enabled the Sanusi zawiyas to achieve sustainability and success in their mission.

Keywords: Sanusi zawiyas, Sanusi Da'wah, financial system, administrative system, Libya.

Cite This Article:
Abdulmunem Ahmed Omar Alqurayd, Adel M. Abdulaziz Al Geriani & Engku Ibrahim Engku Wok Zin. 2024. al-Nizam al-mali wa-al-idari llzwaya al-Sanusiyah wa-atharuhu fi Najah al-Da'wah al-Sanusiyah wa sur'ah intishariha fi Libiya [The Financial and Administrative System of the Sanusi zawiyas and Its Impact on the Success and Rapid Spread of the Sanusi Movement]. *BITARA International Journal of Civilizational Studies and Human Sciences* 7(4): 235-253.

المقدمة

تُعبر السنوسية عن مزيج متناسق ومنسجم بين الفقه والتصوف، وبالتالي فهي لقاء بين الشريعة والحقيقة، ومزاوجة بين النص والذوق، فهي السلفية التي تعتمد براهين الكتاب والسنة وتنكر الوسائط، والتصوف الشرعي الذي يهدف إلى مجاهدة النفس وتزكيتها، فكانت مزيجًا من الطريقة البرهانية والطريقة الاشراقية، مع الميل أكثر للطريقة البرهانية، بل ولا تقف عند حدود علوم الشرع، علوم: الذات والصفات، الفقه، والحديث، والدلالات، وإنما تدرس العلوم الطبيعية مثل الفلك. (‘Imārah:1997 :262-263)

من المعلوم أن الزوايا السنوسية لم تكن مجرد مراكز دينية، بل كانت بؤرًا متعددة الأغراض تهدف إلى تحفيز التعليم والعمل والتقوى في نفوس المسلمين، فبفضل هذه الزوايا انتشرت المعرفة الدينية وتم تعزيز القيم الإسلامية بين الناس، وتم تشجيعهم على الاجتهاد والعمل الصالح. ومن خلال دورها النشط، ساهمت الزوايا السنوسية في بناء مجتمع متماسك، حيث عملت على تطوير القدرات الإنسانية وتعزيز الروابط الاجتماعية. كما أدت دورًا مهمًا في دعم الجهاد ضد الاحتلال الإيطالي، وفي تسوية النزاعات الداخلية وتعزيز الاستقرار. بهذه الطريقة، أضاءت الزوايا السنوسية شعلة الحضارة الإسلامية في ليبيا، وصورت صورة إيجابية ومشرقة عن التزام المسلمين بالقيم الدينية والأخلاقية.

بعد أن حصل الشيخ المؤسس (محمد بن علي السنوسي) على المشيخة الكبرى في فاس، قام بدوره كعالم بتدريس العلوم الشرعية لطلابه، ولكن مع ذلك لم تبدأ دعوة الشيخ فعليًا إلا بعد أن قام بإنشاء أول زاوية له في أبي قبيس بمكة المكرمة عام 1837م، وكانت في البداية تسمى الدعوة أو الطريقة المحمدية ثم تغير الاسم بعد ذلك للطريقة السنوسية.

قام الشيخ المؤسس نتيجة علمه، ورحلاته، وخبراته، بوضع أسس ومبادئ لطريقته، ساهمت هذه الأسس والمبادئ في انتشار الطريقة والدعوة السنوسية انتشارًا كبيرًا وواسعًا أكثر من غيرها من الطرق الصوفية التي سبقتها، ومن أهم هذه المبادئ:

1. التمسك بالإسلام الصحيح وتنقيته من الأفكار التي دخلت عليه، من خلال العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى.
2. فتح باب الاجتهاد مرة أخرى، بعد أن استحكم فريق المحافظين وغلقهم لباب الاجتهاد.
3. محاولة توحيد المذاهب، من خلال التقريب بينها، والتمسك بالأمور المشتركة، وعدم النظر للاختلافات بين المذاهب، مادام الاختلاف في الفروع وليس في أصل من أصول الدين.
4. الدعوة إلى الجهاد ومقاومة المحتل الأجنبي.
5. نشر الإسلام الصحيح في البلاد التي يُنشر فيها.(262: 1983: al-Jundī)

إن من أكثر الأسباب التي ساعدت في انتشار الدعوة السنوسية هو المنهج الذي أقره الشيخ المؤسس، وحرص على تطبيق خطواته ومراحله بشكل صحيح عند بداية تقديم دعوته والذي يتمثل في الآتي:

1. وحدة العقيدة: مما لا شك فيه أن العقيدة أساس الدين إذا صلحت صلح الدين وإذا فسدت فسد الدين، ولا يمكن صلاح العقيدة إلا بكتاب الله وسنة رسوله، هذه الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تجمع المسلمين، ولذلك قام الشيخ بالتصدي للمعتقدات الباطلة، بل ومحاربتها، خصوصاً بعض العقائد الصوفية المنحرفة، كالاتحاد، ووحدة الوجود، والحلول، وغيرها.
2. تحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم: فهذا أساس الاعتقاد الصحيح، فتحكيم الشرع متمثل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في كل شيء، بين الأفراد، الجماعات، والقبائل، حتى الدولة، وبهذا فقط نصبح أخوة في الله، وبهذا فقط يتحقق النجاح والفلاح، والعزة في الدنيا والآخرة، ولذلك حرص الشيخ المؤسس على تحكيم شرع الله على نفسه وأسرته أولاً، ثم على مجتمعه، وأن هذه الطريقة الوحيدة لتوحيد الأمة، واقترابها من نصر الله.
3. الإصرار على طلب الحق، وبذل الجهد والتحري في ذلك.
4. تحقيق الأخوة بين أفراد المجتمع: لقد علم الشيخ المؤسس أنه إذا أراد النصرة والوحدة وانتشار دعوته فعليه تحقيق الأخوة بين أتباعه، والقبائل، وبهذا يقوي بعضهم بعضا، ويستطيعوا العيش في أمان، ومجابهة الاخطار التي قد تواجههم. (90 - 95 : 2001: al-Ṣallābī).

لم تكن السنوسية مثل نظيراتها من الطرق الصوفية، فهي أسلوب حياة كامل متكامل تشمل الدين والدنيا، بمعنى الحياة الدنيا والحياة الآخرة، ووفقا لهذا قام الشيخ المؤسس بإنشاء زواياه التي لم تكن مركز ديني ووعظي فقط، بل كانت مركز ديني، ثقافي، اجتماعي، اقتصادي، وهذا يتوافق مع فكر الشيخ المؤسس الإصلاحي الذي تبناه في طريقته منذ البداية قبل البدء العملي في تطبيق رؤيته وأفكاره. (247-248: 1991: Ziyādah).

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن بناء الزاوية يتم بناء على عدة قواعد منها الموقع الاستراتيجي للمدينة أو بطلب إحدى القبائل حيث كانت ترسل خطابا للشيخ المؤسس أو أحد من خلفائه تطلب منهم بناء زاوية لهم، وبناء على هذا يرسل الشيخ أحد معاونيه وبعض الرفقاء لمساعدته في اختيار المكان وبناء الزاوية التي كانت تبدأ بإنشاء مسجد أولاً ثم منزل للشيخ وأسرته، ثم مكان لمعاونيه، ثم تتوالى الانشاءات، وفي الغالب كانت هذه الانشاءات تأخذ مدة طويلة تزيد عن عام كامل.(al-Mish'al : 54-53).

وكما هو ملاحظ ومعلوم أن أغلب الزوايا السنوسية إن لم يكن جُلها كانت في الصحراء، وكان الشيخ السنوسي المؤسس لها له فكره وأسبابه في إنشائها في هذه المناطق أهمها:

1. البعد عن أي صدام مع الدولة العثمانية أو الدول الاستعمارية.

وهذا طبيعي بالنسبة لذلك الوقت لأن الشيخ المؤسس رحمه الله كان لا يثق بالدولة العثمانية بناء على خبرته وتجاربه السابقة في رحلاته، والدول الاستعمارية في هذا الوقت كانت أشد بطشًا ووحشية من الدولة العثمانية، والشيخ المؤسس كان هدفه الإصلاح وليس إقامة الشعائر الدينية فقط ولهذا حرص على أن تكون الزوايا بعيدة عن بطش الدولة العثمانية والدول الاستعمارية. (al-Shaykh : 1994 :343).

2. أن تكون موجودة على طريق القوافل التجارية.

وهذا راجع لسببين مهمين:

أولاً: سبب دعوي للشيخ:
بهذا يسهل عليه دعوة الناس إلى الدين الإسلامي بشكل عام، ودعوتهم إلى فكره وحركته الإصلاحية الأمر الذي أدي إلى زيادة أتباعه بشكل كبير وملحوظ.

ثانيًا: سبب اقتصادي:
بهذا يسهل الأمر على المسافرين، فالزوايا تقدم خدمات للمسافرين بمقابل، بالإضافة إلى التبادل التجاري الذي كان يتم بين القوافل بعضها البعض، والقوافل والزاوية من جهة أخرى. (al-Mish'al : 54).

3. أن هذه الأماكن التي اختارها كانت أيضا مأهولة بسكان القبائل المستقلة وبهذا كان الشيخ المؤسس يُفيد هذه القبائل من خلال إنشاء الزاوية وملحقاتها التي تتضمن مدرسة للعلوم الشرعية ودار أيتام

ومسجد ودار لاستقبال الضيوف، وكان يستفيد منهم أيضا بالحماية، والدور الاقتصادي لهم من خلال الزراعة والتجارة إلخ. (al-Mish'al : 54).

كان محمد بن علي السنوسي رجل دعوة، يسعى دائماً لتحقيق النهضة العلمية والروحية، ويريد نشر بنية عظيمة من الزوايا لتكون كيانًا اجتماعيًا ودينيًا يسعى لنشر النهضة الحقيقية بين القبائل. كان يسعى لنشر العلم والدين لتحسين حياة الناس، وتقديم الخدمات لهم. كانت الزوايا السنوسية مراكز تعليمية تُدرِّس القرآن الكريم والعلوم اللغوية والدينية. كانت الزوايا السنوسية تؤدي دورًا هامًا في تعليم القرآن الكريم والعلوم الدينية واللغوية. إضافةً إلى ذلك، كانت تقدم الخدمات الاجتماعية وتساعد في تحسين الظروف الحياتية للمجتمع. هذا النظام المتكامل ساهم في نجاح الدعوة السنوسية وانتشارها بين القبائل، حيث أصبحت الزوايا مراكز للنشاط الديني والاجتماعي، مما أكسبها دعماً شعبياً واسعاً وساهم في استمرار نفوذها على مر الزمن.

المبحث الأول: النظام الإداري للزوايا السنوسية

إن أهم ما يلفت الانتباه في البناء التنظيمي للحركة السنوسية هو نظام الزوايا الذي تميزت به عن غيرها من الحركات والطرائق الصوفية. فكلمة "الزاوية" تطلق عند الطرائق الصوفية على مكان يختلي فيه أتباع الطريقة والقائمون عليها بأنفسهم ويتقربون إلى الله بالعبادة، منقطعين عن الناس وعن الحياة، مكتفين بكفالة الناس لهم. وكانت هذه الزوايا غالباً ما تقع في أماكن خلوية، يتردد عليها رجال القوافل الذين يضربون في الطرق الصحراوية ويترلون بهذه الزوايا، أو ما يوقف على الزاوية من أوقاف يخصصها مشايخ القبائل المجاورة تقرباً إلى علمائها المشرفين على الطريقة الصوفية.

أما الزوايا السنوسية فهي تختلف عن غيرها من الزوايا الأخرى من حيث الشكل والمضمون، ومن حيث تنظيمها ورسالتها. حيث لم تقتصر على الشعائر التعبدية والانقطاع عن الحياة، بل كانت لها أدوار اجتماعية واقتصادية وتعليمية، مما جعلها مؤسسات متكاملة تتوازى في نشاطها مع نشاط الدولة بأجهزتها المختلفة.

كانت العقلية الإدارية لدى الشيخ المؤسس تهتم بالتخطيط السليم والإدارة الناجحة. وقد استند تخطيطه إلى تحفيز أتباعه والاستعداد للمستقبل بعقيدة راسخة وعمل دؤوب، مستلهماً من قوله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} (al-Qiṣaṣ :77) وقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ} (al-Anfāl :60).

جعل هذا الفهم العميق من الزوايا السنوسية خلايا حية تمد الحياة الصالحة إلى كافة أنحاء الأمة الإسلامية. فأصبحت الزوايا مراكز للتربية والتهذيب والتعليم، ولإيقاظ العاطفة الدينية السليمة، وتوجيه الحياة العامة توجيهاً

رشيداً. وهكذا تحولت الزوايا إلى مراكز إصلاح إنساني متكامل من الناحية الدينية، العقلية، الاجتماعية، والاقتصادية.

البناء التنظيمي والإداري للزوايا السنوسية يعكس مدى استفادة الحركة من سنة الأخذ بالأسباب والعلم والمعرفة. فقد كان مؤسسها مقتنعاً بأن نهوض الأمة يتطلب من العاملين لهذا الهدف أن يفهموا سنة الأسباب ويتعاملوا معها بفعالية لتطبيقها على أرض الواقع. مفهوم التوكل عند الشيخ المؤسس يعني الاعتماد على الله – سبحانه وتعالى– مع الأخذ بكل الأسباب المادية المتاحة. بفضل هذا الفهم، تمكن من بناء نظام تنظيمي وإداري متين وجميل، قائم على أسس ونظم رائعة. وفيما يلي تفصيل ذلك:

1. **التخطيط الدقيق** :اعتمد ابن السنوسي على وضع خطط محكمة لتنظيم وإدارة الزوايا بفعالية.
2. **تحفيز الأتباع** :شجع أتباعه على الاستعداد لمواجهة التحديات المستقبلية، مستلهماً من تعاليم القرآن الكريم.
3. **الزوايا كمراكز حيوية** :جعل الزوايا مراكز نشطة تنبض بالحياة الصالحة، تلعب دوراً مهماً في التربية والتهذيب والتعليم.
4. **إحياء العاطفة الدينية** :عمل على تنمية العاطفة الدينية السليمة وتوجيه الحياة العامة توجيهاً رشيداً.
5. **الإصلاح الشامل** :صمم الزوايا لتكون مراكز للإصلاح الإنساني المتكامل، تغطي الجوانب الدينية، العقلية، الاجتماعية، والاقتصادية.

بهذه المبادئ، نجح الشيخ المؤسس في بناء حركة سنوسية قوية ومؤثرة، ساهمت في نهضة الأمة الإسلامية، وتعزيز، وحدتها واستقرارها. ولقد تمت ترجمة هذه الاستراتيجية على أرض الواقع، حيث يتم بناء الزاوية في الحركة السنوسية من خلال اتفاق بين إحدى القبائل الراغبة في إنشائها وبين ابن السنوسي. يتم البناء وفق الطريقة التالية:

تُبنى الزاوية على قطعة أرض يتم اختيارها بالاتفاق بين القبيلة المالكة للأرض وممثل ابن السنوسي أو ابن السنوسي نفسه. يقوم ابن السنوسي بتعيين رئيس للزاوية يُلقب بالشيخ إذا كانت الزاوية قد بُنيت بالفعل، أما إذا لم تكن قد بُنيت بعد، فإن الشيخ يقوم بتأسيس زاويته في الموقع المتفق عليه، وتكون الأرض موقوفة لهذا الغرض. تُنشأ الزوايا عادةً على ربوة عالية تطل على المناطق المحيطة بها وتتمتع بمناخ صحي. يتحمل الأهالي تكاليف بناء مسكن الشيخ، والمسجد، والمدرسة التابعة للزاوية، مما يعزز الروابط المجتمعية ويسهم في دعم واستدامة هذه المؤسسات الدينية والتعليمية. ولقد احتوت هذه الاستراتيجية الإدارية على ركنين أساسيين؛ إنشائي وبشري.

الركن الإنشائي

يبدأ هذا الركن بالتخطيط الأولي واختيار المكان المناسب وتوزيع المهام لتنفيذ وتحقيق الأهداف الموضوعة وبناء المرافق التي تشمل:

1. مسجد: لإقامة الصلوات الخمس وصلاة الجمعة.
2. مدرسة قرآنية: هذه المدرسة من اسمها تقوم بتحفيظ القرآن الكريم.
3. معهد أو مدرسة دينية: تقوم بتعليم العلوم الإسلامية لمن أتم حفظ القرآن الكريم، وتأهيله للالتحاق بالأزهر الشريف.
4. الخلوة أو مساكن الطلاب: وهذا مخصص للطلاب الذين يأتون من أماكن بعيدة للزاوية من أجل التعلم.
5. المكتبة: من أجل الكتب اللازمة من أجل عملية التعليم. (al-Jundī: 263-262).
6. سكن القائمين على الزاوية والعاملين فيها.

ثم بعد ذلك تم إضافة بعض المباني كالاستراحات للقوافل، واصطبلات وحظائر للماشية، وسوق، وفرن، ومشفى للعلاج، ولكن كان أركان الزاوية السنوسية بداية الأركان التي تم الإشارة إليها. للزاوية حرم كبير يحيط بها من الجهات الأربع؛ يكون آمنًا لمن دخله واستجار به، ولا يجوز أن يطلق داخله الرصاص أو يشهر السلاح، وكذلك المشاجرة وإعلاء الصوت بالغناء أو الخصام. ويمنع فيه رعاية الحيوانات.

من المعتاد أن يرسل ابن السنوسي عددًا من "الإخوان"، بينهم من يعمل بالبناء والعمارة والتجارة وجميع المهارات اللازمة لتشييد الزاوية، حسب احتياجات القبيلة. ومن الطبيعي أن يستغرق البناء وقتًا يطول أكثر من العام. وبعد ذلك، يهتم الشيخ ورجال القبيلة ببناء المسجد أولاً، ثم دارًا لإقامة الشيخ وأسرته. وبعد ذلك يتم استكمال بقية البناء ليشمل الزاوية بيوتًا لوكيل الزاوية ومعلم الأطفال ومساكن للضيوف والخدم ومخزنًا لحفظ المؤن واسطبلاً وبستانًا ومتجرًا على الأقل، وحجرة خاصة للفقراء الذين ليس لديهم عائلة أو مأوى، وفرنًا لسد حاجة السكان بالخبز. ويتولى أغنياء الأهالي بناء مبانٍ أخرى حول الزاوية ليأووا إليها في موسم الصيف. وتمتلك الزاوية متسعًا من الأراضي الزراعية والآبار الجوفية والصهاريج لحفظ الماء.

الركن البشري

تتألف السلطة في الزاوية من شيخ الزاوية، وهو المسؤول الأول، ومن مجلس يضم وكيل الزاوية وشيوخ وأعيان القبيلة المرتبطة بها ووجهاء المهاجرين. تتمثل مهمة هذا المجلس في معالجة مشاكل الأهالي وفض المنازعات.

يُطلق على شيخ الزاوية اسم "المقدم"، وهو كما وصفه أرسلان: "القيم على الزاوية الذي يتولى أمور القبيلة، ويفصل في الخصومات، ويبلغ الأوامر الصادرة من رئيس النظام". يلي المقدم وكيل الدخل والخرج، الذي يتولى إدارة زراعة الأراضي وجميع الأمور الاقتصادية. بالإضافة إلى ذلك، هناك الشيخ الذي يقيم الصلاة في مسجد الزاوية، ويعلم أطفال القبيلة، ويعقد عقود النكاح، ويصلي على الجنائز، ولكنه لا يخطب الجمعة، إذ أن خطبة الجمعة من مهام شيخ الزاوية (المقدم).

ومن المهام الأخرى لشيخ الزاوية: تمثيل رئيس النظام، قيادة رجال القبيلة في الجهاد، التواصل بين القبيلة ورجال الإدارة العثمانيين، ضيافة المسافرين، الإشراف على حصاد الزرع، إمامة صلاة الجمعة، والمساهمة في الوعظ والتعليم.

1- مقدم الزاوية: وهو القائم على الزاوية، المسؤول عنها، وهو من يوجه الأهالي والعاملين في الزاوية، يعمل على إدارة الزاوية، وتمويل أمورها، وإبلاغ أوامر ومشاكل الأفراد، وتحفيزهم على مزاولة الإنتاج الزراعي. وهو خطيب الجمعة والقائم على تنفيذ الأوامر الصادرة من السنوسية.

2- شيخ الزاوية: وهو المسؤول عن التعليم، والقضاء فيها، فهو الإمام في الصلاة والمسؤول عن تعليم الأطفال القراءة والكتابة وتلاوة القرآن الكريم، ويعقد فيها عقود النكاح، ويصلي على الجنائز، كما كان عليه الحفاظ على القضايا الشرعية. لشيخ الزاوية كساء سنوي يتألف من عشر بدلات وتتكون البدلة من قميص وسروال وغطاء الرأس وحذاء، ويشترط ألا تكون من الحرير. له الحق في تعيين معلم للصبيان ومؤذن للصلاة، وعدد من الخدم والعمال حسب مقتضيات الضرورة. ومن واجباته أيضاً إحضار الطعام الكافي لعشرة أشخاص يومياً، وتأمين أجورهم ونفقاتهم من موارد الزاوية. كما يتوجب عليه تنظيم مواعيد الغداء والعشاء للضيوف المحتمل قدومهم إلى الزاوية، وكان الطعام لا يتجاوز نوعاً واحداً. يحق له أن يستضيف أقاربه على حساب الزاوية فقط في الحالات الخاصة، ولا يحق له أن يأمر بالنحر للضيوف، حيث إن له عشر الواردات وله مواشي خاصة به، وله الحق في ممارسة الزراعة لحسابه الخاص لتغطية نفقاته الشخصية التي لا يحق له أخذها من أموال الزاوية. وكان له الحق في أن ينحر لنفسه ولزوجته وأولاده شاتين أسبوعياً.

3- وكيل الزاوية: وهو عبارة عن نائب لمقدم الزاوية ووكيل عنه يهتم بشئون الإدارة، والاقتصاد في الزاوية، وهو يساعد مقدم الزاوية في الأمور الاقتصادية بالكامل، وكان يطلق عليه "وكيل الدخل والخرج."

4- مجلس إدارة الزاوية: ويعرف أيضا بالمجلس الاستشاري، وهو يتكون من مقدم الزاوية، ووكيله، وشيخها، ورؤساء القبائل المجاورة للزاوية، والوجهاء المهاجرين إليها. مهمة هذا المجلس هي النظر في مشاكل الناس وفض المنازعات. (Bayḍūn : 1990 :152-151).

وبهذا أصبحت الزاوية مثل المؤسسات الحكومية الحديثة، كل زاوية مرتبطة بالزاوية الأم الرئيسية، وفي نفس الوقت كل زاوية لها إدارة مستقلة بذاتها وفقا لروية الزاوية الرئيسية.

يتم بناء الزاوية بناء على طلب إحدى القبائل حيث كانت ترسل خطابا للشيخ المؤسس أو أحد من خلفائه تطلب منهم بناء زاوية لهم، وبناء على هذا يرسل الشيخ أحد معاونيه وبعض الرفقاء لمساعدته في اختيار المكان وبناء الزاوية التي كانت تبدأ بإنشاء مسجد أولا ثم مترل للشيخ وأسرته، ثم مكان لمعاونيه، ثم تتوالى الانشاءات، وفي الغالب كانت هذه الانشاءات مدة طويلة تزيد عن عام كامل. (al-Mish'al :54-53).

كما هو ملاحظ ومعلوم أن أغلب الزوايا السنوسية إن لم يكن جلها كانت في الصحراء، وكان الشيخ السنوسي المؤسس لها له فكره وأسبابه في إنشائها في هذه المناطق أهمها؛ البعد عن أي صدام مع الدولة العثمانية أو الدول الاستعمارية. وهذا طبيعي بالنسبة لذلك الوقت لأن الشيخ المؤسس –رحمه الله– كان لا يثق بالدولة العثمانية بناء على خبرته وتجاربه السابقة في رحلاته، والدول الاستعمارية في هذا الوقت كانت أشد بطشا ووحشية من الدولة العثمانية، والشيخ المؤسس كان هدفه الإصلاح وليس إقامة الشعائر الدينية فقط ولهذا حرص على أن تكون الزوايا بعيدة عن بطش الدولة العثمانية والدول الاستعمارية. (al-Shaykh :1994: 343).

والفكرة الثانية أن تكون موجودة على طريق القوافل التجارية؛ وهذا راجع لسببين مهمين أولهما سبب دعوي للشيخ، حيث بهذا يسهل عليه دعوة الناس إلى الدين الإسلامي بشكل عام، ودعوتهم إلى فكره وحركته الإصلاحية الأمر الذي أدي إلى زيادة أتباعه بشكل كبير وملحوظ. وثانيهما سبب اقتصادي حيث يسهل الأمر على المسافرين، فالزوايا تقدم خدمات للمسافرين بمقابل، بالإضافة إلى التبادل التجاري الذي كان يتم بين القوافل بعضها البعض، والقوافل والزاوية من جهة أخرى.(al-Mish'al : 54).

إن هذه الأماكن التي اختارها كانت أيضا مأهولة بسكان القبائل المستقلة وبهذا كان الشيخ المؤسس يُفيد هذه القبائل من خلال إنشاء الزاوية وملحقاتها التي تتضمن مدرسة للعلوم الشرعية ودار أيتام ومسجد ودار لاستقبال الضيوف، وكان يستفيد منهم أيضا بالحماية، والدور الاقتصادي لهم من خلال الزراعة والتجارة إلخ. (al-Mish'al : 55). الجدير بالذكر أن الشيخ المؤسس قام بإنشاء ما يقارب 42 زاوية؛ بالحجاز في (مكة، المدينة المنورة، جدة، الطائف، منى، بدر)، في مصر (واحات الصحراء الغربية)، برقة، طرابلس، فزان، وفي تونس.(al-Shaykh : 342) واتفق الباحثون أن الطريقة السنوسية بلغت الذروة في الانتشار عام 1902 حيث وصل عدد الزوايا السنوسية إلى 146 زاوية.

إن الحركة السنوسية، وهي تشق طريقها نحو إصلاح المجتمع وإقامة بنيانه، قد أدركت منذ البداية أن هذا العمل الهام لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال نشاط دائم وصبر كبير. وأن تحقيق الأهداف الكبيرة لا يتم إلا من خلال الأخذ بمختلف الأسباب والوسائل التي من شأنها أن توصل إلى النجاح. وعليه، فإن الحركة السنوسية لم تستنكف عن اتخاذ الوسائل التي أتيحت لها، مما أضفى عليها طابع التكامل وجعلها تختلف عن غيرها من الحركات والطرق الصوفية التي اقتصر نشاطها في معظمه على الشعائر التعبدية مثل الصلاة والصوم والذكر. في حين أن نشاط الحركة السنوسية يكاد يكون موازياً لنشاط دولة بأجهزتها المختلفة.

المبحث الثاني: النظام المالي للزوايا السنوسية

تشير بعض المصادر إلى أن مؤسس الطريقة السنوسية، محمد بن علي السنوسي، لم يكن يقصد برقة مباشرة عند خروجه من الحجاز، و لم يكن قد حدد في ذهنه اختيارها بعد. ولكنه كان يدرس المواقع في طريقه، وعندما أجبر على العودة من قابس، قرر الإقامة في برقة بعد أن لاحظ صالحيتها أثناء مروره بها في رحلتي الذهاب والعودة من الحجاز .حول هذا الموضوع، يقول بريتشارد في معرض حديثه عن استقرار السنوسي في برقة: "وفي طريقه إلى قابس، سمع عن التطورات الفرنسية الجديدة في موطنه، وقرر العودة إلى طرابلس ثم إلى بنغازي، واضطر للإقامة في ليبيا لفترة لأن الطريق إلى الغرب كان مغلقاً بواسطة الفرنسيين، والطريق إلى الشرق كان مغلقاً بواسطة السلطات في القاهرة وفي مكة."

وسواء أكان السنوسي قد خطط للاستقرار في برقة منذ البداية أم أن الظروف هي التي أجبرته على ذلك، فإن برقة كانت تتمتع بمزايا سياسية واقتصادية واجتماعية كان لها أثر بالغ في قرار السنوسي الاستقرار فيها بشكل دائم. وبما أن هذا البحث يتناول النظام المالي للزوايا السنوسية، سوف نترك جانباً الدوافع السياسية والاجتماعية، ونركز على الدافع الاقتصادي وراء استقرار السنوسية في برقة.

لا شك أن السنوسي عندما قرر الاستقرار في برقة عام 1843، وأسس أول زاوية له في البيضاء، كان على دراية تامة بأهمية الموقع الجغرافي الذي تتمتع به المنطقة، والذي كان له أثر بارز في نشاطها الاقتصادي بصفة عامة، وتجارة القوافل على وجه الخصوص. لعبت بعض المدن الساحلية في برقة مثل بنغازي ودرنة دوراً هاماً باعتبارها مراكز تجارية وموانئ لتصدير السلع التي يجلبها تجار القوافل من بلدان السودان الأوسط إلى إسطنبول ودول جنوب أوروبا. كما لعبت بعض واحات جنوب برقة مثل الجغبوب وأوجله وجالو والكفرة دوراً أساسياً باعتبارها محطات استراحة للقوافل التجارية للتزود بالمياه والمؤن وتأجير الجمال أو شرائها.

من ناحية أخرى، لاحظ السنوسي أهمية موقع برقة باعتبارها حلقة وصل بين الشرق والغرب، خاصة من خلال قوافل الحجيج التي كانت تنطلق من شمال وغرب وجنوب إفريقيا. فقد كانت أغلب طرق الحج التي يسلكها حجاج هذه المناطق تمر بالجنوب البرقي ثم تتجه إلى الأراضي المقدسة في الحجاز عبر الأراضي المصرية.

في القرن التاسع عشر، كانت هناك ثلاث طرق رئيسية تتجه إلى الأراضي المقدسة عبر واحات برقة. الطريق الأول ينطلق من بلاد الهوسا، ومن مدينتي كانو وكاتسينا، مروراً بواحات فزان، ثم إلى واحات أوجلة وجالو والجغبوب، ومنها إلى مصر ثم إلى الأراضي المقدسة. الطريق الثاني ينطلق من برنو ويتجه شمالاً إلى واحات برقة عبر واحة بلما، ويلتقي مع الطريق الأول في فزان، ثم يتجه بعد ذلك إلى الحجاز. أما الطريق الثالث فينطلق من واداي إلى الكفرة مباشرة، ثم إلى واحات أوجلة وجالو والجغبوب، ومنها يتجه شرقاً إلى مصر، وصولاً إلى الأراضي المقدسة.

تظهر الزوايا السنوسية أهمية كبيرة في الجانب الاقتصادي للحياة في ليبيا، حيث ساهمت في توفير الاستقرار والأمان. قامت الزوايا بتنشيط حركة القوافل التجارية، حيث تلقت هذه القوافل دعمًا ومساعدة مما ساهم في تعزيز نشاطها. في الماضي، كانت القوافل التجارية تتعرض للسلب والنهب، ولكن بفضل الزوايا، تحولت هذه القوافل إلى أماكن تجد فيها الدعم والراحة عند وصولها إلى إحدى هذه الزوايا.(59-68 : 1967: al-Dajānī).

بالإضافة إلى ذلك، شجعت الحركة السنوسية الليبيين على زيادة إنتاجهم الزراعي والعمل الجاد. قامت بتحفيز القبائل على الاستقرار واستغلال مياه العيون والآبار لزراعة المساحات الصالحة للزراعة. ومن المثير للإعجاب أن بعض الزوايا السنوسية قامت بتطبيق نمط عملي فريد، حيث دعت كل فرد من أفراد المجتمع إلى المشاركة في الزراعة ليوم واحد في الأسبوع على الأرض المحيطة بالزاوية.

كانت الأرض التي تُقام عليها الزوايا تُعتبر مقدسة ومحفوظة من الاستغلال، حيث كان يُمنع استعمال السلاح أو إثارة المنازعات فيها. كانت الأراضي المحروثة والآبار والخزانات المخصصة لجمع مياه الأمطار تُعتبر حرامًا، وتمثلت تلك الأراضي في بساتين وحتى مقابر خاصة ببعض الزوايا. بناءً على الأمان والاستقرار الذي قدمته الزوايا، كانت لها أثر كبير على تعزيز حركة القوافل التجارية. تعززت التجارة بين المناطق المختلفة وازدادت نشاطًا. كما ساهمت الحركة السنوسية في نشر الإسلام والتوجيه نحو القيم الدينية، مما ساعد في تعزيز التعاون والتواصل بين القبائل والمجتمعات المختلفة. (31 : 1983: al-Mā‘izī).

ومن الجدير بالذكر أن بناء الزوايا لم يتم بشكل عشوائي، بل تم اختيار مواقعها بعناية، حيث تم بناؤها على طول خطوط القوافل الرئيسية وعلى شواطئ الخلجان البحرية. تم اختيار المواقع بمراعاة السياقات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية، لتلعب الزوايا دوراً مهمًا في الإشراف على التجارة بالسواحل، وتوفير الأمان، والمساعدة للمسافرين، والتجار.

إذاً، لم تقدم الزوايا السنوسية فقط إسهامات معنوية وتعليمية، بل كان لها أيضًا تأثيرًا اقتصاديًا قويًا من خلال دعم حركة القوافل التجارية وتحفيز الإنتاج الزراعي والتجارة بين المناطق المختلفة. لقد قامت الحركة السنوسية بإسهامات اقتصادية مهمة في ليبيا من خلال دعمها المادي والمعنوي للأفراد والمجتمع، وتشجيعها على الاقتصاد الذاتي والتعاون الاقتصادي.

الموارد المالية للزوايا السنوسية

إن الامام المؤسس كان له هدف يسعى إليه وهو نشر الفكر الإصلاحي بين الناس بعد توعيتهم وتعليمهم أمور دينهم، وبدأ بإنشاء الزوايا لتقوم بهذه المهمة الدعوية الإصلاحية، ولكي يستمر في هذا الطريق كان يجب عليه أن يجد موارد تساعده على الاستمرار، دون الحاجة لأحد. ولهذا قرر الشيخ المؤسس أن تكون لدعوته مواردها المستقلة حتى يستطيع القيام بها على أكمل وجه دون التدخل من أحد، ومن أجل ذلك قام الشيخ المؤسس السنوسي على التخطيط لعمل نظام اقتصادي يوفر له ما يحتاجه من الأمور الحياتية لاستمرار دعوته، وأسس هذا النظام على عدة مصادر أهمها:

1. الزراعة

تعتبر الزراعة من أهم الموارد الاقتصادية في ليبيا في هذا الوقت بعد التجارة، وغالبا ما كانت الأراضي الصالحة للزراعة تقع على سواحل البحر الأبيض المتوسط من شرق ليبيا لغربها، وكانت هناك بعض الواحات في وسط ليبيا، هذا بالإضافة الى الزراعات الموسمية التي تعتمد على هطول الأمطار، ووفقا لأن الزراعة من أهم الموارد الاقتصادية في المغرب العربي بشكل عام، وليبيا بشكل خاص، اعتمد الشيخ المؤسس على هذا المورد الاقتصادي المهم، ولذلك كان الشيخ المؤسس يختار أماكن الزوايا بعناية وفقا وما يتناسب مع رؤيته من حيث أن تكون الزوايا في المناطق الصالحة للزراعة أو بجانبها أو على طرق القوافل التجارية، و لم يقف الشيخ المؤسس عند اختيار الأماكن المناسبة للزوايا فقط، بل كان يحبب أتباعه في العمل، ويحثهم عليه، ويرغبهم في الزراعة لكي يعيشوا من عمل أيديهم وبهذا يغرس فيهم حب العمل وحب التعفف، وهذا كان له الأثر الإيجابي في نفوس أتباعه.

مصادر الأراضي الزراعية للزوايا

كانت الأراضي التي تمتلكها الزاوية تمتلكها من عدة مصادر أهمها:

1. من واقع الهبات التي تقوم بها القبائل، وكذلك الأفراد. فكانت القبائل عندما ترسل لطلب بناء زاوية لها، تهب الزاوية أرض، وكان أيضا بعض الأفراد يقومون بوهب الزاوية قطع أراضي خاصة بهم.
2. عن طريق الشراء. فكانت الزاوية تقوم في بعض الأحيان تقوم بشراء أراضي تكون ملك للزاوية.
3. من خلال استصلاح الأراضي المهملة والمتروكة. كان القائمون على الزاوية بالاشتراك مع أهالي القبائل المجاورة يقوموا باستصلاح الأراضي المهملة ولا يوجد صاحب لها.

4. عن طريق انتزاع الأراضي المتنازع عليها بين القبائل لصالح الزاوية. في بعض الحالات كانت هناك بعض المشاكل والنزاعات بين بعض القبائل على قطع أرض، كانت الزاوية تتدخل في أغلب هذه الحالات وتقوم بضم الأرض المتنازع عليها للزاوية، وبذلك تنهي الخلاف، والأرض عندما تكون ملك للزاوية فهي تكون مثل الوقف الخيري والجميع يريد أن يشارك في هذا العمل الخيري.
5. وكذلك عن طريق استثمار الأراضي واستصلاحها بإذن من أصحابها. في بعض الأحيان كان ملاك الأرض لا يزرعونها أو لا يستطيعون زراعتها، فكانت الزاوية تستأذنهم في استصلاح هذه الأرض، كاستثمار وبذلك الزاوية تستفيد وصاحب الأرض يستفيد. (Nīkūlāy iylytsh : 2001: 326 brwshyn).
6. زراعة الأودية بعد هطول الامطار مشاركة مع الأهالي وهو ما يعرف بالسَكة، فقد يتولى عدد من منتسبي السنوسية أو من ينوب عنهم تطوعا المشاركة في الزراعة والحصاد طلباً للأجر والثواب..
7. زراعة الأراضي الموات.

ومما ينبغي الاشارة إليه هنا أن جميع هذه الأراضي تكون وقف للزاوية للأبد ولا يمكن التصرف فيها بأي شكل من الأشكال.

زراعة الأراضي

تقوم زراعة الأرض التابعة للزاوية من خلال العمل الجماعي التعاوني الطوعي بمعنى بدون مقابل، كل المقيمين في الزاوية من المعلمين، والطلبة، والمتصوفين، والخدم سواء كانوا من المنتسبين للقبيلة نفسها أو من غيرهم هم مسئولين عن القيام بكل تلك الأعمال التي تتطلبها زراعة الأرض، وحصاد المحاصيل، وتخزينها. (4 : 2017 : al-Sanūsī) بالإضافة إلى أن البدو المقيمين بالقرب من تلك الزاوية أو المرتحلين في ضواحيها يأتون بدوابهم العاملة فيبذرون، ويحرثون أرض الزاوية في مواسم الزراعة، وهطول الأمطار، وهم يكررون ذلك أيضاً في موسم الحصاد. من خلال تقديم عمل يوم واحد تطوعي بدون مقابل في كل من موسم الزراعة والحصاد. (31 : al- Ashhab).

وهناك طريقة أخرى للزراعة أيضا وذلك من خلال إعطاء قطعة أرض لكل من يرغب بالسكن جانب الزاوية، مع أدوات الزراعة، للعمل فيها، بشرط أنه لا يحق له التصرف فيها بالبيع أو التوريث. (326 :2001 : Nīkūlāy).

وكان الهدف الرئيس من الزراعة هو توفير الطعام من حبوب، فواكه، هذا بجانب بعض أنواع الحيوانات التي تستخدم في الزراعة كالجمال، والأغنام، وبهذا يوفر الألبان بمشتقاتها، واللحوم للمقيمين في الزاوية والقبائل المحيطة بها.

ولذلك كان الشيخ عندما يريد أن يؤسس زاوية جديدة، فإنه يؤكد على من يرسله أن تكون هذه الزاوية والأرض المحيطة بها، وسكانها نموذجا لمجتمع مسلم، منتج. (Ziyādah : 1958 : 71-70) وذلك وفقا لطبيعة الأرض المحيطة بالزاوية، فهناك زوايا تقوم بزراعة النخيل وبعض الأشجار والبساتين كالزوايا التي تؤسس في الواحات، وزوايا أخرى تعتمد على زراعة المحاصيل والخضروات، كزوايا مسوس والطيلمون الواقعتين جنوب مدينة بنغازي.(al-Ashhab :1946 : 199-198). ونتيجة لذلك أصبح لكل زاوية مصدر رئيس لمواردها بدون تكلفة تذكر، وهذا كان أحد، بل أهم سبب من أسباب استقلال الزوايا السنوسية، وعدم انشغالها بكيفية الحصول على موارد، واهتمامها بالهدف الرئيس التي أسست من أجله وهو الإصلاح الشامل الكامل.

وبذلك تطورت الزوايا السنوسية من مجرد زوايا للعبادة أو التصوف إلى مجتمع زراعي، وذلك نتيجة لاستقرار البدو الرحل في الأراضي المحيطة بالزوايا واشتغالهم واحترافهم لمهنة الزراعة والرعي، الأمر الذي أدى بدوره إلى تحسين أوضاعهم المعيشية، والاقتصادية. (al-Ashhab :1946 : 199).

2. التبادل الزراعي (تبادل المحاصيل الزراعية).

هناك نظام قام بوضعه الشيخ المؤسس السنوسي وهو تبادل المحاصيل الزراعية بطريقة خاصة بالزوايا السنوسية. وقوم أساس هذا النظام على أن بعد كل موسم حصاد يتولى المسؤول عن الزاوية بتخزين ما يكفيه لمدة عام، ثم يقوم بالتبادل مع الزوايا الأخرى التي لا تمتلك نفس نوع المحصول وبذلك تتم عملية التبادل بمنتهى البساطة والسهولة. وللشيخ المسؤول عن الزاوية أن يحتفظ بالعشر من إيراد المحصول لنفسه (ليصرف منه على نفسه وأسرته، وأقاربه) وله الحق أيضا في بيع جزء من المحصول وبثمنه يشتري ما يكفي الزاوية والمقيمين فيها من الأمور الأساسية (الشاي، السكر، الصابون، الاقمشة، إلخ). (al-Ashhab :1946 : 2001).

وفي فترة لاحقة، تيسيرا وتسهيلا على القائمين بالزوايا، أصبحت كل زاوية سواء كانت في ليبيا أو خارجها، تقوم بتسويق إنتاجها وإرسال إيراداتها المالية إلى المركز الرئيس. ويمكنها أن تحتفظ بما يكفيها لمدة سنة، على أن ترسل الفائض عل شكله الأصلي (محصول، فاكهة) مباشرة للمركز الرئيس. (al-Sanūsī : 6-5).

وبذلك التبادل الزراعي أصبحت كل زاوية من الزوايا السنوسية تمتلك ما تحتاجه للعيش لمدة عام كامل، حتى وإن لم تكن تزرع إلا نوع واحد من المحاصيل الزراعية.

3. التجارة

نتيجة لانتشار الزوايا السنوسية، والتي اختار أماكنها الشيخ المؤسس بعناية حيث كانت على طرق القوافل التجارية، فالزوايا التي كانت تقع على طرق القوافل التجارية كانت تكتسب موارد معتبرة من خلال الخدمات

التي كانت توفرها للقبائل، كانت الزوايا تعتمد في مواردها على الدخل القادم من القوافل التجارية نظير الخدمات التي كانت تقدمها الزوايا لهذه القوافل، من خلال الخانات، والمستودعات، والاصطبلات، وكل ما يتعلق بالأعمال الخدمية للقوافل. (Nīkūlāy : 2001: 327).

وبعد دخول القبائل الجنوبية الإسلام طواعية، وتحكيمهم للزوايا السنوسية، اتسع نفوذ الزوايا السنوسية في الجنوب، وبهذا كانت الزوايا السنوسية مصدر أمان للقوافل التجارية بحيث أصبحت القوافل تتحرك في هذه المنطقة بأمان من خلال محررات من شيوخ الزوايا السنوسية فتصبح لهم بمثابة جوازات سفر يجتازون بها أرض قبائل التبو، والطوارق وغيرها من أقوام جنوب الصحراء التي انضمت طواعية للدعوة السنوسية، ومؤسسها، وهذا الإنجاز يعود إلى نجاح دعوة الشيخ المؤسس فبعد أن كانت هذه القبائل تعتمد في أرزاقها على النهب، وقطع الطريق أصبحت هي القوة المحافظة على الأمن في تلك الصحاري، بل وتحترم محررات شيوخ تلك الزوايا، وتعمل بمقتضاها، ولذلك أصبحت الزوايا السنوسية طريق اً مفضلاً لقوافل التجار ذهاباً وإيابا من برقة، وطرابلس، وواحات الجنوب الليبي إلى مصر، والسودان وبالعكس. (al-Sanūsī : 6).

ونتيجة لهذا الأمان الذي وفرته الزوايا السنوسية للقوافل التجارية أصبحت الحركة التجارية طوال السنة، فعلى سبيل المثال كان يسافر من مدينتي طرابلس، وبنغازي خلال الأعوام الأخيرة من العهد العثماني الثاني من ثمانية إلى عشرة تجار، ومن واحة جالو ما بين 89 إلى 27 تاجراً، وذلك كمعدل سنوي. (al-Sanūsī :7).

ومع مرور الوقت صارت هذه الزوايا تتحول تدريجياً إلى مركز تجاري بمعناه المعاصر، تقام على أرضها المستودعات لحفظ المؤن، والخانات لإقامة وراحة مرافقي القوافل، وأيضاً الإسطبلات لإيواء الإبل والخيول، وأصبحت الزوايا تتلقى موارد مالية لقاء تلك الخدمات التي تقدمها لهذه القوافل، هذا فضلاً عن الأمان الذي يتمتع به أصحاب القوافل من المسافرين، والتجار خلال فترة تواجدهم في الزاوية. (Nīkūlāy : 327).

4. الزكاة

نتيجة احترام القبائل للزوايا السنوسية، وثقتهم بها، وفقا لما شهدوه من دورها في نشر الدين، وتعليم أولادهم القرآن الكريم وأصول الدين، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، رأت هذه القبائل أنه من واجبها دعم هذه الزوايا، من خلال إرسال الزكاة لها، وبناء عليه أصبحت كل قبيلة ترسل الزكاة سواء كانت زكاة المحاصيل، أو الماشية، إلى الزاوية القريبة منها، بل وصل في بعض الأوقات أن القبائل كانت ترسل العشر من إنتاجها إلى الزوايا القريبة لها، تبركا وسعيا منهم لدعم الدور التي تقوم به الزوايا السنوسية. (Ziyādah: 1958 : 73).

5. التبرعات والهدايا

احترام القبائل للحركة السنوسية، ورؤيتهم للدور الديني، والعلمي، والاقتصادي، والتربوي للزوايا السنوسية، أصبحت التبرعات والهدايا تنهمر على الزوايا السنوسية من طوائف مختلفة، مثل الأغنياء، والتجار، وآباء الطلبة الذين يدرسون في الزوايا، ولم تتوقف الهدايا والتبرعات على هؤلاء فقط، بل إن كثيرا من الملوك والأمراء كدولتهم، فبعثوا السنوسية من خلال إرسال التبرعات والهدايا لهم، ومن هؤلاء: ملوك آل عثمان وكبار رجال السياسة في دولتهم، فبعثوا من الأستانة العليا بكثير من الهدايا النفيسة، والقيمة منها أنواع الأسلحة، والكتب العلمية القيمة. ومن القطر المصري خديوي مصر إسماعيل باشا، بل وكثير من الشخصيات العامة في شتى المجلات العلمية، والسياسية، والأدبية، منهم شعراء الحضرة الخديوية علي الليثي، والشاعر عبد الله باشا فكري، ومن بلاد الحجاز شريف مكة، وأمراء، وعلماء، وأشراف بلاد الحرمين الشريفين، ومن بلاد المغرب العربي أمراء المغرب، وبعض قيادات الثورات العربية، والإسلامية نذكر منهم الزعيم السوداني الكبير المهدي، وأحمد عرابي، والعديد من شيوخ القبائل الأفريقية، وسلاطينها، وزعمائها الذين انتسبوا للحركة السنوسية. (al-Sanūsī : 8).

وذكر العقيد الصادق مؤيد العظم أحد ضباط حرس السلطان عبد الحميد الثاني مثال على ذلك في أحد تقاريره أنه شخصياً قد أمر بتوصيل هدايا كثيرة، وقيمة خلال الرحلتين التي قدم فيها إلى الجغبوب من حضرت الخليفة العثماني إلى شيخ الزاوية المهدي السنوسي. (al-Sanūsī : 8) كما ذكر في تقريره عن الهدايا التي كانت ترسل للشيخ المؤسس الكبير من الملوك والسلاطين غير الخلافة العثمانية، بأن السلطان يوسف حاكم واداي وهي أكبر مملكة بالسودان يرسل الهدايا لنفس المكان، من ناب الفيل، وريش النعام، وسبائك الذهب الخام، وأيضاً الخدم، والجواري، فيحفظ من هذه الهدايا ما يلزم لاستهلاك الزاوية، والباقي منها كناب الفيل، وريش النعام يتم إرساله لكي يباع في المدن الساحلية. ويشير الصادق مؤيد العظم هنا أنه في أحد زياراته إلى بنغازي بعد ذلك سنة 1302 ه قد عرض بحضوره للبيع ناب فيل بسعر أربعين ألف قرش لشيخ زاوية الجغبوب.

يتضح مما سبق أن الزوايا السنوسية اجتمعت لها العديد من الموارد التي ساهمت في نمو الدعوة وانتشارها، وذلك لصدق الدعوة، وجهد القائمين عليها والتزامهم بنشر وتطبيق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والعمل على إصلاح المجتمع، وتطبيق الشريعة الإسلامية في شتى مجالات الحياة، (تربوية–اجتماعية–اقتصادية–سياسية–إلخ..) وهذا ما لم تتضمنه حركات صوفية سابقة للحركة السنوسية، أو معاصرة لها.

الخاتمة

تُعد دراسة النظام المالي والإداري للزوايا السنوسية وأثره في نجاح الدعوة السنوسية وسرعة انتشارها في ليبيا من الدراسات الهامة التي تلقي الضوء على أحد أبرز الحركات الدينية في تاريخ البلاد. أظهرت هذه الدراسة كيف أن الإدارة المالية الفعّالة والتنظيم الإداري المحكم للزوايا السنوسية قد أسهما بشكل كبير في تحقيق استقرارها واستمراريتها، مما مكنها من تقديم الدعم الاجتماعي والديني لمجتمعاتها.

اعتمدت الزوايا السنوسية على مصادر متنوعة للدخل، بما في ذلك التجارة والزراعة والتبرعات والأوقاف، مما عزز من استقلاليتها الاقتصادية وقدرتها على الاستمرار في تقديم خدماتها. كما أن التنظيم الإداري الفعّال ساهم في إدارة هذه الموارد بكفاءة، وضمن توزيعها بما يخدم أهداف الدعوة السنوسية ويعزز من تأثيرها في المجتمع الليبي.

إن نجاح الدعوة السنوسية وسرعة انتشارها لم يكن فقط نتيجة للإيمان العميق بالمبادئ الدينية التي تنادي بها، بل كان أيضًا نتيجة للتخطيط المالي والإداري الدقيق الذي مكنها من مواجهة التحديات والتكيف مع الظروف المختلفة.

ختامًا، يمكن القول إن تجربة الزوايا السنوسية تقدم درسًا مهمًا حول أهمية الإدارة المالية والإدارية في نجاح الحركات الدينية والاجتماعية، وكيف يمكن للتنظيم الجيد أن يدعم الأهداف الدينية والاجتماعية ويضمن استمراريتها وتأثيرها في المجتمعات. هذه الدراسة تدعو إلى مزيد من البحث والتعمق في دراسة العوامل التي تساهم في نجاح واستمرارية الحركات الاجتماعية والدينية في مختلف السياقات.

توصيات الدراسة

تشجع هذه الدراسة على إجراء دراسات معمقة حول دور الأوقاف في ليبيا وكيفية إدارتها بكفاءة لتحقيق الاستدامة المالية. كما توصي بتصميم برامج تدريبية متخصصة في الإدارة المالية والإدارية تستهدف العاملين في المؤسسات الدينية والاجتماعية، مستفيدة من التجارب الناجحة للزوايا السنوسية. بالإضافة إلى ذلك، توصي الدراسة بتطوير آليات شفافة وفعالة لإدارة الموارد المالية للزوايا والمؤسسات الدينية، تشمل نظامًا محاسبيًا دقيقًا وتقريرًا ماليًا دوريًا لضمان الشفافية والمساءلة.

كما تعزز الدراسة فكرة الاستثمار في الأنشطة الزراعية والتجارية كمصادر رئيسية للدخل، مستفيدة من التجربة السنوسية في استخدام الأراضي والمواقع الاستراتيجية. وتؤكد أيضًا على أهمية تعزيز التعاون بين الزوايا والمجتمعات المحلية لتحقيق التكامل الاقتصادي والاجتماعي وضمان تلبية احتياجات المجتمع بشكل أفضل. إلى جانب ذلك، تشجع الدراسة الأتباع والمحسنين على تقديم التبرعات والهبات لدعم نشاطات الزوايا، وتطوير نظم لإدارة هذه التبرعات بكفاءة وشفافية.

توصي الدراسة باستخدام التكنولوجيا الحديثة لتحسين إدارة الموارد المالية والإدارية، مثل تطبيقات المحاسبة والإدارة المالية الرقمية لتعزيز الكفاءة والشفافية. وتقترح أيضًا إنشاء قاعدة بيانات شاملة للأوقاف الخاصة بالزوايا، تتضمن تفاصيل الأصول والعوائد والنفقات، مما يسهل عملية الإدارة والتخطيط المالي. وتشدد على أهمية التوثيق المنتظم للنشاطات المالية والإدارية للزوايا لضمان الحفاظ على السجلات التاريخية وتحليل الأداء بشكل مستمر.

وأخيرًا، تدعو الدراسة إلى تطوير سياسات مالية مستدامة تضمن تحقيق التوازن بين الدخل والنفقات وتعزز القدرة على التكيف مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية. كما تقترح إجراء دراسات مستقبلية لتحليل تأثير تنوع مصادر الدخل على استدامة الزوايا السنوسية، ودراسة مقارنة بين الزوايا السنوسية والزوايا في مناطق أخرى من العالم الإسلامي لفهم الاختلافات والتشابهات في النظم المالية والإدارية. بالإضافة إلى ذلك، يمكن دراسة العلاقة بين كفاءة الإدارة المالية وسرعة انتشار الدعوة السنوسية في ليبيا والمناطق المجاورة، واستكشاف دور الزوايا في التنمية المجتمعية والاقتصادية وتعزيز هذا الدور في السياق المعاصر.

References

al-Amīn, Muḥammad al-Mā'izī. 1983. *Maḥaṭṭat min Tārīkh Lībiyā 1551-1951 M*. Dār al-Zayn lil-Kitāb, al-Abyaḍ-Fazzān-Lībiyā..

al-Ashhab, Muḥammad al-Ṭayyib ibn Idrīs. 1946. *al-Sanūsī al-Kabīr*. al-Qāhirah, Dār al-'ahd al-jadīd lil-Ṭibā'ah, al-Ṭab'ah al-thāniyah..

al-Ashhab, Muḥammad al-Ṭayyib ibn Idrīs. 1946. *Barqah al-'Arabīyah ams wa-al-yawm*. Maṭba'at al-Hawwārī, al-Qāhirah.

Bayḍūn, Jamīl, Shiḥādah. 1990. *al-Nāṭūr wa-ākharūn, Tārīkh al-'Arab al-ḥadīth*. Dār al-Amal lil-Nashr wa-al-Tawzī', Ṭ 1.

al-Dajānī, Aḥmad Ṣadafī. 1967. *al-Ḥarakah al-Sanūsīyah, nash'atuhā wa-numūwuhā fī al-qarn al-tāsi' 'ashar*. Aḥmad al-Dajānī. al-Ṭab'ah al-ūlá. Dār Lubnān.

Ibn 'Alī, 'Abd al-Qādir. 1966. *al-Fawā'id al-jalīlah fī Tārīkh al-'ā'ilah al-Sanūsīyah*. Maṭba'at Dār al-Jazā'ir al-'Arabīyah, Dimashq.

'Imārah, Muḥammad. 1997. *Tayyārāt al-Fikr al-Islāmī*. Dār al-Shurūq. al-Qāhirah, ṭ2.

al-Jundī, Anwar. 1983. *al-'ālam al-Islāmī wa-al-isti'mār al-siyāsī wa-al-ijtimā'ī wa-al-thaqāfī*. Dār al-Kitāb al-Lubnānī, Maktabat al-Madrasah, Ṭ 2, Bayrūt.

Muḥammad 'Imārah. 1997. *Tayyārāt al-Fikr al-Islāmī*. Dār al-Shurūq. al-Qāhirah, ṭ2.

Nīqūlā, Ziyādah. 1958. *Muḥāḍarāt fī Tārīkh Lībiyā: Min al-isti'mār al-Īṭālī ilá al-istiqlāl*. Ma'had al-Dirāsāt al-'Arabīyah al-'Ālīyah. Jāmi'at al-Duwal al-'Arabīyah.

Nīqūlā, Ziyādah. 1991. *Ifrīqīyāt Dirāsāt fī al-Maghrib al-'Arabī wa-al-Sūdān al-gharbī*. Dār ryās lil-Kutub wa-al-Nashr, Ṭ1.

al-Ṣallābī, 'Alī Muḥammad. 2001. *al-thimār al-zakīyah lil-ḥarakah al-Sanūsīyah fī Lībiyā. Maktabat al-ṣaḥābah*. al-Shāriqah. Maktabat al-tābi'īn. 'Ayn Shams. al-Qāhirah, J 1, Ṭ,

al-Sanūsī, Muḥammad ibn 'Alī. 1990. *al-Durar al-sanīyah fī Akhbār al-sulālah al-Idrīsīyah. Dimna al-Majmū'ah al-mukhtārah lil-Imām al-Sanūsī*. Ṭab'ah fī Mānshistar bi-Barīṭānīyā 'ām.

al-Sanūsī, Yūnus 'Alī al-'Askarī. 2017. al-Mawārid al-iqtiṣādīyah wa-al-nuẓum al-Idārīyah llzwāyā al-Sanūsīyah. *al-Majallah al-Lībīyah al-'Ālamīyah*. al-'adad al-Thānī wa-al-'ishrūn.

al-Sharīf, Fawzī Ṣāliḥ. 2018. *Dawr al-zawāyā fī al-ḥayāh al-ijtimā'īyah fī al-mujtama' al-Lībī*. Lībiyā : Majallat al-Sarrāj fī al-Tarbiyah wa-qaḍāyā al-mujtama', al-'adad al-sābi'.

al-Shaykh, Ra'fat. 1994. *Tārīkh al-'Arab al-ḥadīth*. 'Ayn lil-Dirāsāt wa-al-Buḥūth al-Insānīyah wa-al-Ijtimā'īyah, Miṣr.

al-Shiblī, 'Ādil, wa-Bin Yūsuf 'Abd Allāh. 2017. *Taṭawwur al-Ḥarakah al-Sanūsīyah wa-mabādi'uhā fī Lībiyā*. Mālīziyā: Jāmi'at mlāyw, Majallat al-muqaddimah.

Ziyādah, Niqūlā. 1958. *Lībiyā min al-isti'mār al-Īṭālī ilá al-istiqlāl, Manshūrāt Qism al-Dirāsāt al-tārīkhīyah wa-al-jughrāfīyah*. Ma'had al-Dirāsāt al-'Arabīyah al-'Ālamīyah, Jāmi'at al-Duwal al-'Arabīyah, Ṭab'ah.